أخي العزيز
حاتم عبد الهادي

للإبداع يدوم بيننا
أهديك ديواني

عفت بركات

دمياط - عزبة البرج
القنال - بجوار شركة الهدايا.

ت ٠١٠٦٤٤٥٤٠٤٤

إبداعات

تفاصيل العبث

عفت بركات



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد نوار

أمين عام النشر
د. أحمد مجاهد

رئيس التحرير
فؤاد قنديل

الإشراف العام
أحمد زرزور

مدير التحرير
محمود الحلوانى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إبداعات / العدد : ٢٢٧
تفاصيل العبث/ عفت بركات
مراجعة لغوية : عبد الناصر أحمد
الطبعة الأولى
رقم الإيداع / ١٤٧١٩ /٢٠٠٥

المراسلات : باسم رئيس التحرير
على العنوان التالى ١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
رقم بريدى : ١١٥٦١

الإهــداء

إلى أمي :

صدرك أوسع من سذاجتنا

وإلى بلادٍ :

عبثاً

تقول

لا.

عفت

- مفتتح -

أنا أبهى عرائس الخلجان

اصطادنى أبى

من صَدفةٍ مجنونةٍ

دثَّرنى بالأنواء.

يا فرائس البحر

انصتوا :

عابدةٌ أنا

لا تدخلوا شريان صمتى

هنا

العبث

المجنح

بالجنون

وبالصلف.

ما قبـل العبـث

تفاصيـل

لبحركِ المبلول : حليبى الفلسفىّ
ونشوة السِّمان

لبحركِ المبلول : ألفُ
تعويذٍ
إلىَّ.

سلامٌ :
مدينتى التى أرّقت سلسالها
ورتبت الأصيلَ على زنديه.

نشيج :
يأتينى صخرك الحنون
ويصطفينى بالزبد،
يا لوعة الذين أسقطوا
الشطآن
والنخيل
والصدفْ ،
سأضمُها ..
وفنارَك،
أعلِّم الخلجان من
تأويل قصائدى
وأزعق
بالعواصف.

مدينتى ..
حين تُطلين وجهَك بالخريف
ويرتدى شتاؤك المذعور مصابيحه
يا لسخط الراحلين على فنارك المُسن
ورعشة البلاشون
لصراخكِ

يا عابرى برزخى
لو كان الموج مداداً ليدىَّ
ما نفد الزبد ،
فاحلموا بخصلات النخيل
وبمركباتى
تشبثوا

للبحر : ولدٌ
طالعته البلاد بسرها
فدنًا قاب قوسين

ولدٌ قال :
إني عروةُ البلاد
سأضمد وجه الأرض
إذ
تحالف
الجراد.

قال :

قد اصطفيتك لاشتعالٍ

فى بهاء «طليطلة»

لتعرجين سماءً لا تخاف البوح،

القهر يشهد أننى ما سلوت

هو التأريخ عاقرٌ

فلا

تبوحى

للسديم

بسرنا.

قلت :

إن تلتحم :

يزدهى نخيل بصرة بالجليل

كعكاً :

توزِعُ الجولان على بوائك أرزها

ويمرحُ الفاو بأندلسٍ

يراقصُ نيلنا الحبشى،

فعانق نفط الهزيمةْ.

ظامئٌ جسدى المطرز بالندى
والبحر :
على نوافذ خُلوتى ،
يرسمنى
يتهجانى
ألملمهُ خلاصا للمبتورين،
... ...
آه
لو
لم
يكن
وطنى
بهذا
الجنون !

صخـور

• صاد

همو الصغار يغتسلون بدفءِ الجدة

والترحال ،

وأنا ألهو بضعفكِ

وأزجّني إلى نخاعك

كي

تخلطني

بصبحٍ .

أرى العابرين
يمضغونك وقتما يبغون
وإذا عبثت «طوبة»
بزبدٍ ملتحمٍ على رئتيك ،
يبصقون حزنهم بوجهك

وأنت يا ظلنا :
ما ذلّك البكاء
وصمتك ؟

• خـاء

أتسللُكَ

كى تخلع تجاعيد النرجس

وتغنينى :

« عيناك فيروزتان

لا الزبد استطاع نحتهما

ولا

النوارس ».

تسرقني كل مساءٍ

لترتبني

وتهيؤني لحكى آخر

حيث قمر متسكع يغمرنا

وأنت تقص

:

كيف تمخض جبل الساحل عن

طابيةٍ(*)

عن عشق جمع صخورك

والسلسال(*)،

وعجوز..

تبتلع طابية خرساء ؟

• واو

يا شيخنا :

كبرت مع حكيك القديم ،

أتلثم صخرك أبراجاً للراحلين

تصدهم عن المغيب

وما استكانوا لافتعالات النوارس

ولا

لصراخ

زبد

متكسّر .

أمهات شققن المساءات حزنًا
وابتهلن ألف يومٍ وشط .

لمِ تعد تلك العجوز تختلى بالمساء .
تكسَّر الدم الذى
دفعناهُ
مهراً .
تبخر الزمن الشفيف
وأنت لا تثمر غير بكاء
فى
انتظار
العائدين
كنوارسٍ
ظامئة .

● راء

هم الآن راحلون

بغير عهدكَ يأملون

ويلوحون :

«زُجَّ بنا يا بحرُ

مع النوارس والزبد

واطمس

فناركَ

القديم»

• نورسة أخرى

نم

بوغازنا(*) الحنون

لا

تحسب

الصغار

عائدين .

هامش :

(*) طابية : حصون بناها الزعيم عرابى بمدينة عزبة البرج الساحلية لحماية مصر.

(*) السلسال : برج أنشأ قديم سميت عزبة البرج نسبة إليه.

(*) بوغاز: منطقة التقاء مصب نهر النيل بالبحر المتوسط.

الاختلاج بنشوته

• وجع :

هو البحر متكئ على زفير الآوين
مبعثِرا أدوات الاستفهام ،
والصدفات البللورية بسبع
أراضين ،

... ...

هل ضاجعتكم المدينة
التى
استهلكتنى ؟
هل أمطرتكم نشوتها
هل أسكنتكم نهَد طلاسمها
قنديل بكارتها
عناقيد المدّ
والجزر العصيان ؟

أيها العالمون بسرِّى :
من يسندنى بأقراص السلوى
ويطببنى من عبث صخورٍ
تجهدنى
بأطراف
النشوى ؟

من
يُقصيها
عنى ؟

• نشوة

لا المصابيحُ فى الظلام أعلنتكَ
ولا النوارس : فتشت عن سرِّك

بزبد اغتسالك
بنوارسٍ قد أرهقتكَ
اصطفتكَ
وسيَّدتكَ
يا أول من فض بشاشتها
وآخر
من عانقت.

● بوح

من باحَ بسرِّكَ

من علّم الشطآن لغة انفلاتكِ ؟

من أهدى الريح زئيرها

لتعتصر فورانها

وتلمها

فى معصميك ؟

نساءُ الأرض اقتسمن نطفتك

فحَملتُكَ

انتبذتُ بك العراء

فأنجبت

خمراً

متعباً.

يا ...

دع للصخور بكارتها

،

واطمس

رمّانك

فى

دمى .



• ليل خارجى :

أيها الساديُّون

أوقفــوا

النزيف .

فى ظلمةِ المشهد نسى الشيخُ دورَه ،

صرخ :

لمن

الأرض ؟

ذبيحًا رقصَ الجمهور

وانتفض المُخْرجُ

– قطع –

ليستمر

النزيف.

شبح لسؤالِ عقيم
أحبَّ فتًى
يغتاله مجد كسيح
على
ألق
مصــادفة
منحه مفتاحَ ولوجٍ
من
موتٍ
إلى
هاويةْ

• ليل داخلى :

چوكاستا :

هل كان يدرى وشاحُكِ المذعور

أنهُ

حبلُ

الخاتمة ؟

أتعثر فى وشاحكِ الأبله

أتعرى ويلملمنى الكاهن

أوارى سوءةَ المدائن

أبكى ..

يتبعنى الكورس

والجمهور

ن

ى

ا

م .

ليلاً :
بُجرحكِ المبهم تلتحفين
تهدهدين عجينةً حية
لها قدرة طازجة على ابتلاعك
تصرخين
ولا
أحد .
ماذا لو صدَقَت نبوءتكِ الحزينة
صرخةُ
واحدة
و
تستريحُ
مشنقة .

*

• ليل أخير :

ينسانى المشهد ؛

فأغنى ،

خمسون وجعاً :

والجرحُ طازج

لم

يزل

يا شيخنا ..

إضرب بعصاكَ الحجر

تنفجرُ الأبابيل

ويغنى الكورس

لبيتٍ

ربٌ

يحميه .

أوديب –

استرح –

هذى النبوءات أسقطتكَ

وطائرُ اختطافكَ

قد أعادك حجر أمك

يفقَأ عينيك الألم

فالجرحُ

عصاكَ

الوحيدة .

*

• خاتمة :

شيخٌ :

يلعن الكهنة

إذ دعوا الأسطورة تربو

على حافةِ انفجارٍ أخير

انتيجونا :

اصطحبى أباك

على

سلم

ال

غ

و

ا

ى

ة ،

قطع.

أول العبـث

أفــــول

إنّا ..
بشرناك بولدٍ ترتسم على
عيونه
البلاد ،

النيلُ يعانقُ الكويكبات
وتركعُ النجومُ على ثغرهِ
،
فهيّئ لهُ مدرعةً من شعرٍ
وبرنساً من صوفٍ
ليهيم على وجهه .

أيُها الولدُ

من لخلوتِكَ اصطفاك

لتستلذُ

بوحشتك ؟

لم لا ترتدى عبث الطفولة

لم لا تنشغل معنا

بترتيب الثريا فى السماءِ الثامنة

وتختفى

خلف

القمر

لتفتن النجوم عن سرِكَ.

خُذ الكتابَ بقوةٍ

فالملوكِ مرتعِشون

طهِّرنَا بالنهر

وامنحنا

مراسيمَ

التوبةِ

،

إننا قامرنا

فتساقط نخلُ

ودمُ

وسُدُمٌ.

خُذ الكتاب بقوةٍ
فالذى أوحى له :
اتخذ حواريين
يتّكئون
مآذن
وجع
وبَخلاصٍ يغتسلون
؛
ليلتئم
جرح .

إنا بشَّرناك بولدٍ
على ذبحه البلاد
ت
ن
ق
س
م
تسَّاقط النجوم براحتيه
،
ويفضحُ
النيــلُ
ســوءةَ
النخيل .

يعبـرنـى

أرضٌ تتقيأُ أوجاعها
على مرافئ بهجتي

،

وهذا الحلم المُتّكئُ
بآخرِ
درَجٍ
في
الصفِ
الأيسر

يسألُنى عن الأيامِ المُتبقيةِ أسفلَ قلبهِ
وانسداد صمام العمر
... .

يعشقُ امتزاجَ النوافذِ بأحلامهِ
والحوائط المزركشة
بلهوِ
أقلامِ
الصغارْ .

يحلُمُ كلٌّ وجعٍ :

أن يزورَ أمهُ فى السماء

ليحدثها عن جنيةٍ

اصطادها

فى

الفصل .

... ...

ويحملنى إلى سمائه القطيفة .

ميم

مجهداً يبكى إذا تساقط حزن

على

شفا

الروح ،

يلمحنى إن أخبئ وجعى

بلحمِ القلمِ والأوراق

ويشُطب الحصص التى

تفصلنا .

ألمح اسمى بُكريَّات الكتب

وأزقة الوريد

وإذا رأى اندهاشى

قال :

أحبُك

حـــاء

عيناك : حمامتان شقيتان
إذ تلهوان بصمتى الكثيف
تعرينى من قلقى :
إذ
رأيتُك
تشحذ
الأنفاس
من
الله .

تجردنى :

من سباب انفعالى بلغط الصغار

أكسرُ وجه الأشياء

وألعن الدواء حتى :

يمنحك

تأشيرة

ال

د

خ

و

ل !

ميـم

مخمورا : يتسلل حتى نخاعى
يُترعُنى من وجعٍ ممتد ..
ويغسلنى : بأنهار النرجس
يتسربلُ بين الذرات
يعبث بالأفكارِ
وبالأشعارِ
وبســــلامٍ
يُلقيـــــه
عـــلـى
جنــونى .

دال

ذوّبتني ضحكتهُ

محمدا : الولد الأسعد

يرسمني بوجوه الأطفـــال ،

السبورات

الشوارع

الأدراج

والسلام

ال

و

ط

ن

ى .

يعبرنى من جرحٍ إلى دلتاى

كل صباحٍ :
يقرؤنى ..
ويفسرنى ..
يخبئنى من ذاكرة العالم
نهرا
للظمأ
الموقوت ..
ويلثمُ
الشطآن ،

الآن :
وحدى ألملمهُ
مع النوافذ
والحوائط
وحصص الغناء

ألمحه فى تحيةِ العلم
فراشةً
ماكرة
تطاردنى

وحدى :

ما عاد الآن يعــانقنى

ويقبّـلُنى

ويناديني

ما عاد .. يســائلُنى

ويترجـمنى

ويضاهينى

هو الآن :

لدى أمه

يُفضى لها عن :

معلمــةٍ

جنيـــةٍ

تصطـاد

قـــلوب

البسطاء.

سدیم

منتشيا كان :

يقلبنى كل صباحٍ مقهورٍ بترف القاهرة

يدثرنى بكتب المسرح ،

والأرصفة العارفة

بفنونِ

الوجع

أباغتهُ :

فيدمُن اشتهائى فى المساءات

الباردة .

كان استراح

بين كرّيات انشغالى

يعبث بالقلب الذى ما زحزحته

الأرصدة

الماكرة

والمجد

البللورىّ

أرهقهُ الغناء

والبكاء ،

عندما دنا : تخليتُ

ساومَ أوردتى

فقايضتهُ موعداً

للهوِ

ببهو

الزمن

ولدٌ أحد ..

يختبئُ فى وحشتى

يلعن امتزاج المسافات

اللافتات

مفردات

الراتب ،

وإذا استدار استوى

واستطاب

فى

عرجونِ

محبتى ،

بالأمس تقيأ أوجاعهُ

فانفرط وجد ،

قلتُ :

ما الذى تبغيه سوى جنتى ؟

واكتحلت ورداتُ عشقٍ مسكون

بنــون

النرجس

،

بكى ..

فتعريُت من مجدٍ

وبسطتُ أوردتى

قال : صباحُكِ يُشبهنى

قُلتُ : المواقيتُ جميعُها لدىَّ

:

أيها السادىُّ

أنا المدينَة المحرّمة

جنياتُ النشوةِ هيأننى

وقطافى

حان

همو الهائمون كثر

،

فاكتمل ..

وحدُكَ

الوهج .

انحدرت دمعتان
شقَّتاه نصفين

تلكأ في صمته الفوضوى

،

قلتُ الفِراقُ إذن
سأوى
لسديمٍ
يعصمنى .

إنشـــاد

• مفتتح

على شفا الجرح التقينا

شكّلنا اللهُ جذوتين

خمرا :

أرضعتنا الكواكب فى حضرة النار

تفتحت

خلايانا

ر

ى

ح

ا

ن

ا.

•

يا قلبه القروى
«ليتنى كنتُ نسيًا منسيِا»
إذ حرَّمتنى الشموس عليك ،
وأخبرتنى الجنيات :
أنى قربان التوحد فى
مدارات
قمر
غجرى.
نشيج :
إذا القمر اصطفانى
وطرَّزتنى ملائكةٌ
زوجتنى عناقيد جمره
آليتُ رماداً وضىّ
هل
توضأتَ
بّى ؟

•

يا قلبه :

ليتنى

كنت ؛

فلا هشهشتكَ المرافئ سدرتى

ولا النوارس ذوّبتك

فإذا انتَثرتْ على جبين محبتى :

الكواكب

رأتك جنياتٌ تمرحُ فى دمى

أخبرن القمر أنك أغويتنى

فرجمننى سدم المغيب

تناثرتُ

حِمما

و

شُهبًا ،

●

هل :
للمتَنِى بصدرِكَ القشّى
بين شريانٍ تهجد
و
رئة ،

حتى إذا ملّنى ملأً :
رحتَ تغرسنى بمجراتٍ
أطرحُ أنجماً وأقمارا
وبى
تخضبتَ ؟

ل

ى

ت

ن

ى ..

حتى إذا قيدوك ،

وألف برزخ أقاموا ،

وأقنعوك أنى :

جنيةُ

النار ،

أغويتُ قبلك أنهاراً

وأوصدوا فيك ..

والغِوايةَ أشعلوا ،

هل

أطفأتنى ؟

آخر العبث



آونة

حين بدأني

استأذن أن يقطفني من ضجيج المناقشات

الساخنة

عن

الحرية

وهو يختلسُ من وريدى

قبلةْ ،

... ...

فى غفلة المتخمين بالحوارات
صفعتُ رغبته بأولِ
منعطف
بارد
واستدرجتنى أنامل القاعة
للحديث
عن
مُصادرة
الرأى
الآخر .
. . . . . .

بعد ما أوصدتْ الغرفةُ
قفصها الصدرى على
مفرداتى
ومشاحناتى الداخلية
أسلم
ظمأه
لزفير
الباب
... ...
... ...

حين امتزجت العيون صباحاً

وقف يبدى اعتذاراته

عن

جنون

الأمس

لأتعثر

فيها .

إلّه

لضحكته الممطرة

عناقيدُ بهجة ،

وسربٌ من العصافير

:

احترف الرقص على

أسلاك

دهشتى

حين امتزج الحلم بدمعتين بللتا

ثلاثين عاما من

و

ح

ش

ةٍ

عانقَ زبد الروح فى غفلة

سبٍّ صُدفًا أجلّت اللقاء

حتّى انفرط وجدٌ على وجنتيه
فراشات
ممزقـة
فتزيّا القلب برائحةِ ليمون
وأسرى إلى رئتيه بشوق خبأْتهُ
مذ ولدتني وأوصدتني جنيات
على
ذكور
الأرض .

فمالي :
برغم الوجع
أستدعيه لمهجتى سُدمًا
وإذا انتشيت بذكره
قامر
بعشقٍ
ممدد

فى

نخاعى

فأنستُ ناره وسَناهُ .

لضحكته :

طزاجة أطفال القرى

تلهو بحجر سواقى الحلم واللوزات ،

عن البيوت

يمسحون رائحة النوم

وخلف العصافير يطلقون

أ

م

ن

ى

ا

ت ،

له :

رعشة الجسد سرًا وجهرًا

واختلاج الأرق بالكريات

له ممالكى

جنانى

فلسفتى

هذيانى

له اختصار المدى و

ال

م

س

ا

ف

ات .

عــــزف

سبعةُ أعوامٍ
بين أرصفةِ الحكايا
نبض الشوارع
والهاربين
،
سبعة أعوام
نصطلى وجع مدينةٍ تقعى :
بين
المآذن
والشطوط .

سبعة أعوام

والمدينة تزجّ أحزان الليل بالضحى

بين كوثرها المهاجر : حلمنا

وعريها الموسمى

قربانا

بين

نهديها

... ...

ألف وجه للمدينة

ولى :

ساكن يزورنى فى المساء

يصفع الحوائط

النوافذ

الدم

. . .

ويدثره

غماما .

طيـف

تحار الكائنات في وصفه

مطرٌ يلومني :

إن أُمزق وريداً

لأنقشه على حرائق مهجتي

وعلى شفا وجده أعصرني

إذا

توحش

ظمأ .

... ...

عيناه المبتلتان بأنفاس لوز

وهمهمة رمّان

توشوشان مجرات نجوم لتنزلق

عارية

على

صدرٍ

رخامي ،

تغتسلان بضحكات صيف

وتمزجان أجنحة القلب بنيروز رغبةٍ

تتعقبان الروح خلسة

تمنحاني سلال بهجة وترشان

مدىً

بيننا

. . .   . . .

لرقص

ريح

غجرى

فى

كفيه .

أتهيأ والخدان لمطرٍ كنشيد إنشادٍ

يفرك أنفاس وجع ليلى ..

بأجنحة البيوت

لرائحة وجدٍ طازج

وشهيقِ عناقٍ موقوت

يختال

البحر

بكفيه

على

خاصرتي.

... ...

كواثر خمرٍ شفتاه
في مواقد خلوتي يعمِّداني
وإذ تنافرت النيازك في دمي
،
شفتاه
عسجد
فراش غجري يعدو
على
جسدي
بألوان
طيف .

ولـــوج

• مفتتح

هذا الذى لينأى :

كابدته

بى تعلق

على البُعدِ أكثر .

قلتُ :

ذاتَ صبحٍ - أحبك -

فطالعنى

بجرحٍ

(١)

هذا الذى لا يشبه العباد

خ

ل

س

ة

يفك طلاسم البلاد على جبهتى

يُمُشطُ حلمها الغجرى

بتوت الله

يُزركشُ

الرئتين ،

لعُرسٍ جديدٍ يهيئ
يبسط الكون موائداً
لحكايا
اللوز
وكطفلٍ قرويٍ يهدهدنى
يغزل السعف عيداً للسواقى ،

يهدينى
أنامل
ملائكة
تعبثُ
بالوريد .

(٢)

كل اللواتى أحببتَ
علمنكَ
على أقدامهن نزف الهوى ،
مارسن غيَّهن فيك

ولقلب أمك أعدنك
راسماً
على
جبين
الله
أغنية .

(٣)

سراً تغازلك كويكبات عقيمات

تراودك
ليلاً واحداً عن نفسها ،
بسمتك
تُخصِّبُ
الكون

تُمطرك آلهة أخرى ..
ف
تُ
ع
رِ
ض.

(٤)

تتغامز البيوت للنخيل

حين :

نبدأ طريقنا اليومى لفرح مراوغ

طفلان يلهوان باستدارة السماء

وتصدحُ نجومٌ لبراءة الله

حين بقبلةٍ تودعنى :

تصبحين

على ..

ق

ل

ق .

(٥)

تسائلنى شوارعٌ حزينة
ومئذنة ..
كم اصطفيناها بالدعاء ،

أفر لمدن لا تحمل وجهك
وحدى :
أخطو المساء ؛
ليخلو لى وجه القمر .
وكقطة
سيامية
يحملنى
إليك .

• خاتمة

فرداً

يحملك

الطريق

إلى

الذين

علقوا عشقى

م

ش

ن

ق

ة .

عشيــات

بين ..

كان الهوى

ما بين

بين ..

ظل الهوى

ما

بين

بين

،

والبنتُ تعزفُ بسمةً

للريح .

عبث ..

أيتها الروح الشقية
التى لملمتهُ من سراديب المدن
لمَ
سكبته
فىَّ ،
قفزت على ضحكته

رجرجت به الطفلَ الهمجىَّ
ليتلذذ
بالترحال ؟

رقص ..

لوجه امرأةٍ :
جناحان بحجم كون
وأضيق من وريد
فكيف
أتعلقُ
بهما
بعض
وقت ؟

أتربص بأعواد قلب هشة
يملؤنى غبار عناد
وأنا أتمرَّغُ
بستراديب وجع قادم
بجنون فراشات
ترقص
حول
النار
ولا
تتألم .

مراودة ..

تتكدسين بوجه الحلم : جثةً
هائلة
تحجبين عن القلب شمسَ البراحِ
فلا صباح يخطو
ليِّرتب
أنفاس
غرفتى
المستحيلة
،
راودنى بكل براءتى
عن غد بلون فساتين
الطفولة
وشيطان
بوجه
نبى .

اغتيال ..

حينما ضلَّك الآخرون

خبأتُك ..

صنعتك من قصاصات روحى ،

أسكنتك

عينىَّ

:

فأين

أقصيت

الرؤى ؟

جنون ..

وطن :
أقبِّله على كف أمى
حين تروِّض شيطانَ الغضب
وتمنحنى كعك الله
،
أتقافز ..
بطول نوارس بلدتى
إلى ..
عبث الطباشير
على خاصرة علم مبتل
بأغنيات أطفالى المعتادة
عن
حلمنا
المرهون
صكا .

جحيم ..

نيل يبسطُ كفيه
لنوارس وطنٍ أرهقه المدُّ
بأنفاس
الصبية
،
يهديه الزبد لنخلات
يصادقن عرى فنار ،
،
يهبن التمرات لوجه الرب
يِّعمدنا
من
جنيات
الغربة .

الفهرس

صدر مؤخرا من هذه السلسلة